

(٥) خطبة له ﷺ فى ضرورة

أن ننتهى إلى معالمنا

خطب النبى ﷺ أيضاً ، فقال :

«أيُّها الناسُ.. إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ^(١) فَأَنْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَآيَةً فَأَنْتَهُوا إِلَى نِهَآيَتِكُمْ، إِنَّ الْمُؤْمَنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَذَرِي مَا اللَّهُ تَعَالَى قَاضٍ عَلَيْهِ فِيهِ: فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنْ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ^(٢)، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ .. إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ».

(ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن)

فى هذه الخطبة الجامعة : يشير الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى هذه الملاحظة المهمة ، وهى أن يعلم الإنسان المكلف - أى :

(١) معالم : جمع معلّم - كمذهب - وهو فى الأصل : الدليل فى الطريق ، والمراد به هنا : حدود الشريعة المطهرة .

(٢) اسم مفعول من استعتب ، أى : طلب الرضا ، أى : ليس بعد الموت استرضاء لأنه وقت جزاء ، لا وقت عمل .

المسلم البالغ العاقل - أن له معالم لا بد وأن ينتهى إليها - أى : يقف عند حدودها - بمعنى أن يقف عند حدود الشرع فيها على أساس من العلم بأحكام الدين ، وأن يعلم الإنسان هذا كذلك : أنه بين مخافتين لا بد وأن يخرج منهما بسلام ، وذلك بأن يأخذ «لنفسه مِنْ نفسه، وَمِنْ دُنياهِ لِآخِرتهِ، وَمِنَ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ» .
وحَسْبُ الْإِنْسَانِ - كذلك - بعد أن وقف على هذه الحقيقة المهمة :
أن يفهم المعنى المراد مِنْ قَسَمِ الرُّسُولِ ﷺ فى نهاية الخطبة حتى يعمل من جانبه بكل مَّا أُوتى مِنْ قُوَّةٍ وَإِيمَانٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لا مِنْ أَهْلِ النَّارِ .
